

عمدة القاري

فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر
الظهيرة فهلك من هلك وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي ابن سلول فقدمنا المدينة
فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك لا أشعر بشيء من ذلك وهو
يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله اللطف الذي كنت أري منه حين أشتكي إنما يدخل علي
رسول الله فيسلم ثم يقول كيف تيكم ثم ينصرف فذاك الذي يريبني ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعد
ما نقيت فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليلا إلى
ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل
الغائط فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم
بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة فأقبلت
أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت
لها بئس ما قلت أتسيبن رجلا شهد بدرا قالت أي هنتاه أو لم تسمعي ما قال قالت قلت وما
قال قالت فأخبرتني بقول أهل الإفك فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي
رسول الله تعني سلم ثم قال كيف تيكم فقلت أتأذن لي أن آتي أبوي قالت وأنا حينئذ أريد أن
أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله فجئت أبوي فقلت لأمي يا أمتاه ما يتحدث
الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها
ضرائر إلا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله ولقد تحدث الناس بهاذا قالت فبكيت تلك الليلة
حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي فدعا رسول الله علي بن أبي طالب
وأسامه بن زيد هما حين استلبث الوحي يستأمرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة بن زيد
فأشار على رسول الله بالذي يعلم من براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود فقال يا
رسول الله أهلك وما نعلم إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك
والنساء سواها كثير وإن تسأل الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله بريرة فقال أي بريرة هل
رأيت من شيء يريبك قالت بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر
من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأتي الداجن فتأكله فقام رسول الله
فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول قالت فقال رسول الله وهو على المنبر يا معشر
المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي